



علي ابراهيم باشا

تفضل جلالة ملك البلاد فأنعم برتبة الباشوية السامية على عميد كلية الطب وامير الجراحة المصرية الدكتور علي ابراهيم فتسابقت الدوائر العلمية والطبية في العاصمة المصرية الى الاحتفال بعلي باشا اعترافاً منها بما له من يدٍ عليها وما لتأييده في نجاحها من اثر . وقد اخترنا لهذه الصفحات مقالة للكاتب البليغ المبدع الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري وصف فيها علي باشا وصفاً هو آية في دقة التصوير وجانباً من خطبة للدكتور نجيب بك محفوظ ويليهما ابيات مختارة من قصيدتين لشوقي ومطران من مقالة الاستاذ البشري

رقيق الجسم ادنى الى ان يكون هزيله ، اسمر اللون ، مستطيل الوجه ، غليظ الشفتين من غير قبح ، واضح الثنايا ، لعينه بريق وفيهما جمال ، متفخم اللفظ ، تاؤه بين التاء والطاء وزايه بين الزاي والطاء ، وادع النفس هادى السعي خفيف الروح ، ظريف المجلس ، لا يجذ العنف الى عواطفه سبيلاً ، يقصد في طريقه ، كما يقصد في غضبه فيه حد الفتي وحلم المزكى وحجى الكهل وارتياح الغلام .

ولعل هذا الهدوء العجيب من ابلغ العناصر في نجاحه في عمله المرعب الدقيق وشأنه كشأن جميع النوابع في الدنيا ، ليس لهم من مظاهرهم ما يدل على أخطارهم إلا أنك لا تستطيع ألا تلاحظ أن لهذا الرجل أصابع ليست من جنس أصابع سائر الناس ، فانها تسترعيك بطولها وسراحتها وانسجام خلقها ، على انه إذا تحدث رأته يستمين دائماً بسبابته ووسطاه فما تزالان كالمقص في انفراج والتتام إلى ان يفرغ من حديثه ، حتى أنك لتعرفه من اصابعه كما تعرفه من وجهه ، ولو قدر لمصور أن يرسم أصابعه وحدها لدات عاينه الى غاية لقد تسم غارب المجد ، وبلغ من الشهرة ما تقطع دونه علائق الآمال ، وهو مع هذا لا يحفل قط بما كان ولا بما سيكون ولا بما سوف يكون ، ولا تحسبه بطبع في اكثر ان يعيش في غمر الناس كسائر الناس

ياله من رجل ، لقد تكون في مجلسه مع غيرك ، ولقد تكون معه وحدك وانت مفيض أسبابه ومطلع سره ، فتعرض ذكرى فلان الجراح فيقول لك (بالك فلان ده ، ويومى إليك بأصبعه سائلة الذكر ، ده والله جراح ماله مثل ده شيء من فوق التصور ، لو كان للجدع ده بنحت مكنتش حدزيه في الدنيا) ، يقول هذا في رضا وصدق نفس وراحة

أعصاب والواقع إنني لا أدري أكان هذا كله قد جاءه من طبيعة صفائها الله من كل ما يتداخل أرباب الفنون ، أم أنه تمكن من نفسه واستوثق من أنه لم يتعلق احد بغيره مهما افتن لاخوانه الجراحين في ألوان الشهادات

ثم هو شديد العطف على اخوانه الاطباء عامة ، عظيم العون لجماعتهم ، رطب اللسان فيهم ومن أظرف نوادره أن رجلاً من كبار الأغنياء قدم إليه يشكو علة لا تتصل بالجراحة ، فقال له ، يا عم لا شأن لي بمرضك فاذهب الى الدكتور فلان أو الدكتور فلان فهم الذين يحسنون تشخيص عذتك ويقدررون على علاجك فقال الرجل ، بل إنما قصدت اليك أنت ولست أرضى أحداً يداويني غيرك ، وجئت معي بكذا وكذا من الاموال نخذ مني على أن تعالجي ما تشاء ، فقال له الدكتور ، وأنت إذا أعطيتني ما تشاء فلن ادوي عنتك لانها ليست من عملي ولا تتصل بفتي إنما أنا رجل جراح ، فأخ الرجل وتضرع ، فلما اعياه امره قال له « اسمع يا عم لو تلف (كالون) بينك هل تحب له بنجار أو بكواليني » فقال له بل بالكواليني فقال له مرضك هذا أنا لا أعرف فيه - فقال له الرجل ماذا تصنع إذا فقال له أنا أفصح لك كرشك أكسر رجلك أقطع رقبتك ، وهذا الذي اعرفه فانصرف الرجل مقتنعاً راضياً

ولست أحاول أن أضف لك قدر الدكتور علي ابراهيم ولا نبوغ مبضه فحسبه ان أسلم الناس اجماعهم له بأنه مفخرة من مفاخر هذه البلاد ، ولقد قلت لاحد الاطباء يوماً ، صف لي براعة الدكتور علي ابراهيم فقال لي ، أعرفك أنك تحب الغناء وتهوى الموسيقى ، ولو كان لك عرق في فن الجراحة وقدر لك ان تشهد عملياته لوجدت لانامله من الطرب مالا تجده لانامل المقاد وهي منطلقة في أوتار قانونه الحنان الطروب

على أن نبوغه لم ينته الى حذق الطب والمهارة والبراعة في فن الجراحة ، بل أن له في كثير من العمليات ابتكارات من ذلك النوع الذي يؤثر ويدرس ويحدث في نظريات الفن لإحداثاً وأنهم ليروون عنه جهاداً عظيماً في متابعة الحركة الطبية في العالم فهو كثير القراءة والنظر فيما يخرج في هذا الباب من المجلات والكتب والرسائل حتى اذا وقعت له نظرية حديثة فاستوت في ذهنه أقدم على تطبيقها بنفسه فكان نجاحه دائماً ، كزمه قوياً جابلاً وبعد فان جهلاً أن يظن امرؤ للعبقريات في العالم أسباباً معينة معروفة فما كان هؤلاء العبقريون أصح من غيرهم أبداناً ولا اكثر قراءة ولا اعكف من سواهم على الدرس والتجريب وتقليب النظر ولا اطلب ممن عداهم لتلك الاسباب المفروضة للبراعة والتبريز ، فلقد كان البحترى شاعراً في سن العشرين كما كان شاعراً في سن السبعين ، وكان ابن المقفع

كاتباً وهو ابن الثماني عشرة كما كان كاتباً حين قبض وهو في الثامنة والعشرين وكان روفائيل مصوراً رائماً يوم جالت يده بالنقش كما كان مصوراً في غاية عمره ، وكذلك كان علي ابراهيم جراحاً اول منجمه كما هو جراح اليوم ، انما هي مواهب من الله تعالى يتخير لها من يشاء من عباده لم يتكشف العالم عن كنهها ولا سببها الى اليوم

وانك لتجد الطيب يصيب دائماً في تشخيص العلة الا قليلاً وانك لتجد الآخر يخطئ دائماً في تشخيصها ، ووسائلها في الفن واحدة ، وحظهما من العقل والعلم وساير الاسباب متكافئ ، ذلك ان هنالك حساً دقيقاً غير تلك الاحساس المعروفة يكاد يتفطن به من آثر الله به الى مناوي الغيب فيقع الشيء في نفسه بحسبه الهاماً لانه لا يعرف له علة ولا يحيط منه بسبب ، ومن هؤلاء الذين اصطنعهم الله لهذه الموهبة الدكتور علي باشا ابراهيم

وسبحان من يقرن قضاءه باللطف فانه في الوقت الذي بث فيه الترام في شوارع البلد ، وأزقته يدك الرؤوس ، ويحصد النفوس ، وأطلقت آلاف الاتوموبيلات واللوريات والموتوسيكلات ، تقدم المتون ، وتبعج البطون ، وتأبى الشفقة على سائقها أن يرسلوها على خلق الله قبل أن يحشو معاطسهم بالكوكابين ، والهاروين ، وغيرها من البلاء المبين حتى يغيبوا عن مشاهدة ما تنسف سيارتهم من الهام ، وما تفري من الاجسام ، وما ترسل على الناس من الموت الزؤام ، ولا تنس ، جميل الله لك في كل خطوة الف سلامة ، تلك السيارات العاصفة ، ما لها من دون الله كاشفة ، وتيك التي يتخذها ابناء الذوات ومن انحدرت اليهم النعمة ، وهي تنطلق انطلاق السهام ، في اجساد الانام ، كأن مهمتها في هذا البلد صنع أرامل وتخرج ايتام — سبحان الذي حين يتبلي البلد بكل هذا يرسل فيهم الدكتور علي ابراهيم ، يجمع من اعضاء الناس ما تفرق ، ويرم من احشائهم ما تخرق ، ويضم من اشلائهم ما تمزق ، حتى اوشك ان يقطع على عزربل رزقه من فنه الوبيل

وجل من تعالى على النقص وتنزه عن العيب ، فان جراح الشرق كله لا يملك مستشفى يليق بجلالة محله ، ولا بألاف الجارح الذين يطلبون مستشفاه من كل مكان ، فقد سلطت عليه شهوة اقتناء السجاجيد ، وألوان الطرف واحراز ما ابدعت يد كل فنان ، وما افتن فيه كل صنع حسان ، وما كل ما رثت فيه العشور ونصل عليه لون الزمان ، من دس وتماميل وتصاوير وتهاويل ، ونمارق ووسائد ، ومعاضد وقلائد ، وخشب منجورة . وأحجار محفورة ، ومزاليح ابواب ، وسروج دواب ، وشرفات دور ، وشواهد قبور ، وضباب مصبرة وجرار مكسرة ولو نفص عنه بعض ما يحرزه من ذلك لابتنى مستشفى يليق حقاً بشيخ الجراحين ، على اننا نترك الكلمة في هذا للمجلس الحسي

من خطبة الدكتور نجيب محفوظ

لما القيت مقاليد الكلية منذ عامين تقريباً الى سعادة علي باشا كانت قد قطعت شوطاً عظيماً من الرقي ونالت من الشهرة العالمية قسطاً غير قابل فلاح عجب اذا كانت الانظار في مصر وخارجها قد أخذت منذ ذلك الحين ترقب باهتمام زائد ذلك المصري الفذ الذي اخذ على عاتقه امام العالم اجمع لأول مرة بعد اربعين سنة مهمة من اشق المهمات واكثرها ارهاقاً للجسم والعقل وهي مهمة حفظ المستوى الذي بلغته الكلية والسير بها الى الامام . ويجدر بي في هذا اليوم السعيد ان استعرض بعضاً من الاصلاحات التي تمت منذ تولي ادارتها الى اليوم . نعم — لم يكن علي باشا غريباً عن الاصلاحات التي تمت قبل ذلك بل كلنا نقرأ بانه كرئيس لقسم الجراحة ونائب للعميد لم يكن فقط الروح الموحى بل والساعد المنفذ لما تم فيها من اصلاح ولكننا اذا تأملنا مدى الاصلاح الذي تم اخذنا العجب من ضخامته على قصر المدة التي تم فيها فقد شملت هذه الاصلاحات كل فرع من فروع العمل في المستشفى والمدرسة . ففي المدرسة اقيمت مبان شتى أدت الى زوال الشكاوي المرة التي كانت تؤلم المرضى والاطباء على حد سواء فأنشئ قسم كبير لمعالجة تدرن العظام مع غرفتين للابحاث العلمية ووسمت غرف العيادة الخارجية توسيعاً كبيراً وأنشئت مبان جديدة فيها لامراض الاطفال ، ولقسم الزهري والامراض الجلدية وانشئ قسم جديد لعزل الاطفال فوق الملجأ وألحق به معمل خاص للمباحث كما انشئت معامل جديدة في كل قسم من أقسام المستشفى وزيد عدد أسرة قسم امراض النساء ثلاثين سريراً وأنشئ له متحف خاص وفوق كل هذا صار الماء الجاري موجوداً في كل غرف المستشفى . اما في المدرسة فاقامت مبان جعلت من الممكن انشاء ثلاثة أقسام جديدة للطب الشرعي والطب الوقائي والباثولوجيا الاكلينيكية وقد أظهر علي باشا بعد نظراً مشكوراً في امور اربعة

(اولاً) وضعه نظاماً حكماً يتيسر به ايجاد مصري لائق لكل وظيفة جديدة تخلو وذلك بتعيينه عدداً من الشباب الناهض في وظائف متدرجة كمساعدين للاستاذة يتدربون تحت عنايتهم (وثانياً) الاتفاق الذي عقده مع كلية الجراحين الملكية والذي من شأنه اعفاء اعضاء البعثات من امتحان المعادلة موفراً عليهم ذلك وقتاً طويلاً كانوا يصرفونه هباءً منثوراً (وثالثاً) نجاحه في اقتناعه اولي الامر في انجلترا بتعيين خريجي البعثات في وظائف التدريس في العلوم التي تخرجوا فيها تحت ارشاد أساتذتهم حتى يتم بذلك تدريبهم علماً وعملاً (ورابعاً) التعديلات التي ادخلها على مشروع المستشفى الجديد لجملة يتمشى مع الرقي العظيم الذي ينتظر الكلية . وتقضي هذه التعديلات بزيادة عدد الاسرة ٥٠٠ سرير ومكان لا يوا ٥٠٠ ممرضة وانشاء معهد كبير للمباحث العلمية والتجريبية ملحقاً بالمستشفى . اقامة مادة خاصة لاقسام الط . ال قاذ . والمادة الطبية . السله حاه المتحف

من قصيدة شوقي

وضئيل من أساة الحي لم
ضامر في سعة تحسبه
أو طبيباً آياً من « طيبة »
تنكر الارض عليه جسمه
نال عرش الطب من « أحموتب »
يا لأحموتب من مستأله
خاشعاً لله لم زه ولم
يلس القدرة لمساً كلا
لو يُرى الله بمصباح لما
في خلال لفتت زهر الربى
لو اتاه موجعاً حاسده
لا عدنا « للسيوطي » يداً
تصرف المشرط للبرء كما
مدها كالأجل المبسوط في
تجد الفولاذ فيها محسناً
يد « ابراهيم » لو جئت لها
لم تخط للناس يوماً كفنأ
ولقد يؤسى ذوو الجرحى بها
نبغ الحيل على مشرطها
لو أتت قبل نضوج الطب ما

من قصيدة خليل مطران

كم مدق ابرأته من سقمه
وشفيت قبل الجسم علة روحه
تصف الدواء له على قدر فلا
أو تدرك الداء الذي بنصله
تندى وتسطم في يدك مهارة
وتطيع فكراً صارماً كشباتها
عزم به تهي الصروف قنتهي

فكفيتها التعذيب والتأريقا
باللفظ عذباً والملاج رفيقا
تخليطاً في صفة ولا تليفقا
تنضو الحجاب ولا تفضل طريقا
كلاماً ليناً والرجاء بريقا
وتطيع قلباً كالنسيم رفيقا
ولربما عُقت الحيام فميقا